أدوار الفقه في المذهب الشيعي

بعد أن أكملنا بحث أدوار الفقه السني، نبحث الآن هذه الأدوار في الفقه الشيعي.

الدَور الأول ـ مرحلة التأسيس

يُطلق على هذا الدور (مرحلة التأسيس)، وتبدأ هذه المرحلة أواخر الغيبة الصغرى، وتحديداً بالشيخ الكليني محمّد بن يعقوب، بالديلمي المعروف بسلاّر (ت ٤٤٨).

أهمُّ ملامح هذا الدور:

١-في هذا الدور شرع الفقهاء في جمع ما صدر عن المعصومين (عليه السلام) وتصنيف المجاميع الحديثيّة، وقد كان الحديث في عصر الأئمة متناثراً في عدّة كتب دوَّنها الأصحاب عن الأئمة.

٢- في هذا الدور تمّ تدوين موسوعتين حديثيتين فقهيتين، هما: (الكافي) للكليني المتوفّى (٣٢٩هـ)، و (مَن لا يحضره الفقيه) للصدوق المتوفَّى (٣٨١هـ)، وبهذا توفّرت أهمُّ أدوات الاستنباط.

٣-قد بدأ في هذا الدور تدوين أُصول الفقه، وقد تمثَّل ذلك بتأليف كتابين مهمَّين هما (التذكرة بأصول الفقه) للشيخ المفيد (٤١٣هـ) و (الذريعة إلى أصول الشريعة) للسيد المرتضى (٤٣٦هـ).

من فقهاء الدور الأول:

١-الكليني محمّد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)
٢-والد الصدوق علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت٣٢٩هـ)
٣-العماني الحسن بن عليّ بن أبي عقيل الحذَّاء (ت٣٦٨هـ)
٤-ابن الجُنَيد محمّد بن أحمد الإسكافي (ت٣٨١هـ)
٥-الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه (ت٣٨١هـ)
٦-المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري (ت٤٢٣ هـ)
٧-السيد المرتضى عليّ بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦ هـ)
٨-أبو الصلاح الحلبي تقي الدين بن نجم الدين (ت ٤٤٧ هـ)
٩-سلاّر حمزة بن عبد العزيز الديلمي (ت ٤٤٨ هـ)

الدَور الثاني ـ مرحلة الانطلاق

ويبدأ هذا الدور بعهد الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، أي من أوائل القرن الخامس الهجري، إلى عهد المحقِّق الحلِّي صاحب كتاب شرائع الإسلام (ت ٦٧٦هـ) أيْ منتصف القرن السابع الهجري.

أهمُّ ملامح هذا الدور

١-اتضحت فيه أسس وقواعد ومناهج عملية الاستنباط والاجتهاد في الفقه الإمامي، في كلٍّ من أُصول الفقه والحديث والرجال. وجُعلت مصادر الاستنباط وأدلَّة الفقه في كُتب الأُصول في هذا الدور أربعة: (الكتاب، السنّة، الإجماع، العقل).

٢-اعتماد العقل والنقل معاً، وفي النقل تم دراسة الأحاديث الواصلة عن أهل البيت من خلال دراسة السند والدلالة معاً، واعتمدت عملية تصحيح السند على التوثيق الرجالي.

٣- راج في هذا الدور مقارنة آراء المذهب الشيعي مع المذاهب الأُخرى.

٤-تم فيه تدوين موسوعتين فقهيتين حديثيتين، هما: التهذيب، والاستبصار، ومجموعة كتب رجالية هي: اختيار معرفة الرجال، والرجال، والفهرست، بالإضافة إلى فهرس النجاشي.

أهم فقهاء الدور الثاني:

١-الطوسي محمّد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ)

٢-ابن حمزة محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري (ت٤٦٣ هـ)

٣-ابن البرّاج القاضي (ت ٤٨١ هـ)

٤-قطب الدين الراوندي سعيد بن عبد الله بن الحسين (ت٥٧٣ هـ)

٥-ابن زُهرة الحلبي حمزة بن عليّ الحسيني (ت٥٨٥ هـ)

٦-ابن إدريس محمّد بن منصور بن أحمد الحلِّي (ت٥٩٨ هـ)

الدَور الثالث ـ مرحلة الاستقلال

يبدأ هذا الدور بظهور المحقِّق الحلِّي (ت٦٧٦ هـ) أي في منتصف القرن السابع تقريباً، ويستمرُّ إلى منتصف القرن العاشر الهجري.

ملامح هذا الدور

١-يتميَّز هذا الدور بظاهرة استقلالية الفقه الإمامي عن مجاراة المذاهب الأُخرى، في المادة أو المنهج، واعتماد التراث الشيعي خاصة، من دون نظر إلى فقه أهل السنة، ومناهجهم، في الاستدلال إلاّ في كتب الفقه المقارن، ولهذا سمي بدور الاستقلال.

٢- تم فيه تدوين مؤلَّفات مهمة في علم أُصول الفقه؛ مثل كتاب معارج الأُصول للمحقِّق الحلي، وكتاب "نهاية الوصول إلى علم الأُصول" للعلاَّمة الحلي، وكان هذان الكتابان فيهما كثيراً من الدقة والعمق واعتماد الأُصول والقواعد المستفادة من نصوص أهل البيت.

٣- استقل الفقه في هذا الدور عن فقه أهل السنة؛ مما أوجب ترتيب مسائل الفقه على أساس تقسيم جديد، وضعه المحقِّق الحلِّي، وهو تقسيمه الأحكام الفقهية إلى الأقسام الأربعة المعروفة: (العبادات، العقود، الإيقاعات، الأحكام).

٤-تم التوسُّع والدقَّة في تطبيق القواعد الأُصولية أو الفقهية على المسائل والفروع الفقهية، وخصوصاً في فقه المعاملات.

أهم فقهاء الدور الثالث:

١-المحقِّق جعفر بن الحسن الحلِّي (ت٦٧٦ هـ)
٢-الحسن بن أبي طالب الآبي (٦٧٢ هـ)
٣-ابن داود الحلِّي (٧٠٧ هـ)
٤-العلاّمة الحلِّي الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (ت٧٢٦ هـ)
٥-الشهيد الأول محمّد بن مكِّي العاملي (ت٧٨٦ هـ)
٦-الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري (ت٨٢٦ هـ)
٧-ابن فهد الحلِّي أحمد بن محمّد الأسدي (ت٨٤١ هـ)

الدور الرابع

ويُطلق عليه (دور التطرّف والتشدد)؛ لأنَّه ظهر في هذا العصر اتجاهان فقهيان مُتعاكسان، أوّلهما: الاتجاه العقلي، والآخر: الاتجاه الأخباري، وكل اتجاه متشدد تجاه الآخر ورافض له، وساعياً للقضاء عليه.

ويبدأ هذا الدور بعصر المحقِّق الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ)، أي من أواخر القرن العاشر، ويستمر إلى أواخر القرن الثاني عشر.

أهم ملامح هذا الدور

١-ظهور الحركة الأخبارية؛ فقد ظهر في هذه الفترة اتّجاه جديد في الاجتهاد عند الشيعة، على يد الشيخ محمّد أمين الإسترآبادي (المتوفَّى ١٠٣٦ هـ)، مؤلِّف كتاب الفوائد المدنيّة، هذا الاتجاه يطالب بالاستغناء عن القواعد العقليّة، وسمي باتجاه: (الأخبارية) في مقابل الاتجاه السائد وهو اتجاه الأُصوليّة المؤمن بالعقل والاجتهاد.

أهم علماء هذا الدور

١- أحمد بن محمّد المعروف بالمقدس الأردبيلي (ت٩٩٣هـ)
٢-الكركي سيد حسين بن حسن الحسيني (ت ١٠٠١ هـ)
٣-العاملي محمّد بن عليّ الموسوي السيد السند (ت ١٠٠٩هـ)
٤-صاحب المعالم الحسن بن الشهيد الثاني العاملي (ت ١٠١١هـ)
٥- التستري ملاَّ عبد الله بن الحسين الشوشتري (ت ١٠٢١هـ)
٦-الإسترآبادي ميرزا محمّد بن عليّ الحسيني (ت١٠٢٨هـ)
٧-البهائي بهاء الدين محمّد بن الحسين العاملي (ت١٠٣٠هـ)
٨-النائيني رفيع الدين محمّد بن حيدر الحسيني (ت١٠٨٢هـ)
٩-المحقِّق السبزواري محمّد باقر بن محمّد المؤمن (ت١٠٩٠هـ)
١٠-المجلسي المولى محمّد باقر بن المولى محمّد تقي (ت ١١١٠)

الدَور الخامس ـ مرحلة الاعتدال

يسمَّى هذا الدور بدور الاعتدال؛ لوقوفه بوجه التطرف والتشدد، اللذين شهدهما الدور السابق، ونهج طريقاً وسطاً معتدلاً، في الاعتماد على الأخبار والعقل معاً.

ويبدأ هذا الدور من منتصف القرن الثاني عشر الهجري تقريباً، وينتهي في منتصف القرن الثالث عشر وذلك عند ظهور مدرسة الشيخ الأنصاري الفقهية.

ملامح هذا الدور

١- قيام المحقِّق الوحيد البهبهاني بمواجهة كلا الاتجاهين المتطرِّفَين، اللذين برزا في الدور السابق، وتصحيح وتنقية مسار عملية الاجتهاد في الفقه الإمامي مما لحق بها من شبهات وانحرافات؛ نتيجة التطرُّف الذي ساد في الفترة السابقة.

٢- من خلال بحوث البهبهاني اتَّضحت الحاجة إلى علم أُصول الفقه، وأنّه من دون

ذلك لا يمكن أن يتمَّ استنباط الحكم الشرعي؛ نتيجة الابتعاد عن زمان صدور النصوص والأحاديث.

٣- تطوَّر علم الأُصول كثيراً في هذا الدور واتّسع في طبيعة مسائله، وفي أنحاء الاستدلال، وفي تقسيم أبحاثه.

٤- انحسار المدرسة الأخبارية تقلص نشاطها الفكري.

أهم فقهاء الدور الخامس

١-الوحيد محمّد باقر بن محمّد أكمل البهبهاني (ت ١٢٠٥)

٢-بحر العلوم محمّد مهدي بن مرتضى الطباطبائي (ت١٢١٢هـ)

٣-الهمداني عبد الصمد (ت١٢١٦هـ)

٤-البحراني حسين بن محمّد آل عصفور (ت١٢١٦هـ)

٥-العاملي محمّد الجواد بن محمّد الحسيني (ت١٢٢٦هـ)

٦-كاشف الغطاء جعفر بن خضر المالكي (ت١٢٢٨هـ)

٧-الميرزا أبو القاسم بن محمّد حسن القمّي (ت١٢٣٢)

٨- النراقي أحمد بن محمّد مهدي (ت١٢٤٥هـ)

٩-المراغي مير فتّاح الحسيني (ت١٢٦٦

١٠-النجفي محمّد حسن بن محمّد باقر صاحب الجواهر (ت١٢٦٦هـ)

الدَور السادس ـ مرحلة الكمال

ويسمَّى بـ(دور الكمال) أو مرحلة الاكتمال والنضج؛ لِما وصلت له عملية الاستنباط من التطوُّر والنضوج.

ويبدأ هذا الدور من منتصف القرن الثالث عشر الهجري، بوفاة الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب كتاب (جواهر الكلام) في سنة ١٢٢٦هـ، وظهور الشيخ مرتضى الأنصاري. واستمرَّ هذا الدور حتى عصرنا الحاضر، حيث لا زالت مدرسة الشيخ الأنصاري ومنهجه مهيمنة على الاستنباط الفقهي.

أهم ملامح هذا الدور

١-استطاع الشيخ الأعظم أن يوسِّع من المنهج الأُصولي، الذي أسَّسه الوحيد البهبهاني وتلامذته، ويستحدث نظريَّات جديدة، ويضع مصطلحات حديثة، ويُلقي الضوء على

مسائل وقواعد أُصولية كانت مغفولاً عنها، أو تُبحث بصورة مُختصرة قبل ذلك.

٢-تطور منهج الاستدلال الفقهي بشكل كبير جداً خصوصاً في فقه المعاملات والعقود من حيث متانة العرض ومنهجيَّته، وفصله للبحوث والقواعد العامّة للعقود عن مصاديقها وأنواعها، والأحكام الخاصّة بكل عقد.

٣-امتاز بقوّة الاستدلال والصناعة الفقهية.

أهم فقهاء الدور السادس:

١-الشيخ الأنصاري مرتضى بن محمّد أمين الدزفولي (ت١٢٨١هـ)

٢-الآخوند محمّد كاظم بن حسين الخراساني (ت١٣٢٩هـ)

٣-اليزدي محمّد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي (ت١٣٣٧هـ)

٤-النائيني الميرزا محمّد حسين بن عبد الرحيم (ت١٣٥٥هـ)

٥-العراقي آقا ضياء الدين (ت١٣٦١هـ)

٦- آل كاشف الغطاء محمّد الحسين (ت١٣٧٣هـ)

٧-الحكيم محسن الطباطبائي (ت١٣٩٠هـ)

٨- السيد محمّد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)

٩- الخميني السيد روح الله الموسوي (ت١٤٠٩هـ)

١٠- الخوئي السيد أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ)